# الآداب العربيَّة

## في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

### ٢ ادباء النصارى في الحقبة الاولى من هذا القرن

#### ١ أدباء مصر النصارى

جارى أدباء النصارى في مصر ادباءها المسلمين ولعلَّهم كان لهم التقدُّم في تلك النهضة الادبيَّة . على انَّ ذلك الفضل يعود خصوصاً الى نصارى الشام الذين لم يجدوا في وطنهم ما رغبوا فيهِ من سعة الحال وبسطة العيش والحرِّيَّة المعتدلة فهاجروا الى مصر ليستعوا فيها بحضارتها تحت نظارة بريطانية العظمى . وما لبثوا ان تخصَّص بعضهم منَّن تخرَّجوا في مدارس الاجانب في الشام للكتابة فنبغوا فيها كما تشهد لهم تآليفهم والصُّحف التي تولَّوا ادارتها فنهجوا الطريق في ذلك لاهل مصر . وها نحن نذكر الذين اشتهروا في تلك الحقبة الاولى

﴿عبدالله مرَّاش﴾ توفي في غرَّة القرن العشرين في ١٧ كانون الثاني ١٩٠٠ في مرسيلية وكان مولدهُ في حلب في ١١ أيَّار ١٨٣٩ وهو اخو فرنسيس الذي مرَّت لنا ترجمتهُ بين أدباء القرن التاسع عشر وكلاهما من أُسرة فاضلة عُرف اصحابها بفضلهم ورقي آدابهم . تخرَّج عبدالله في الشهباء في مدرسة الآباء الفرنسيسيين ثمَّ تعاطى التجارة فيها مدَّة واتَّسع في اعمالها وسافر الى انكلترَّة عميلاً لشركة من التجار في منشستر فاجاب ثروةٌ واسعة . ثمَّ عدل عن التجارة واشتغل بالآداب في باريس وفي انكلترَّة وحرَّر في جرائدهما العربيَّة كمرآة الاحوال لرزق الله حسُّون ومصر القاهرة لاديب اسحاق والحقوق لميخائيل عوذا وكوكب الشرق لاحد الفرنسويين وقضى

اواخر سني حياته في مرسيليا. وكان عبدالله مرّاش يشبهُ رزق الله حسُّون في درسه للغة العربية ومعرفة تاريخ العرب والبحث عن الآثار العربية في مكاتب لندن وباريس ونسخه عنها ما يراهُ من نوادرها جديرًا بالذكر ينقل ذلك بخط بديع. وكان عبدالله ضليعاً بالانشاء العربي يُحسن الكتابة ويحرص على وضوح معانيها وله فصول رائعة في الاخلاق والآداب وانتقادات حسنة على منشورات المستشرقين ورسائل شتى في العلوم العصريَّة والاحوال السياسيَّة. وتعريبات لبعض كتابات الفرنسويين (اطلب الضياء ٢: ٣٤٤ و ٤٩١)

وممَّن اشتهروا في مصر من اهل الشام المرحوم ﴿بشارة تقلا﴾ اخو سليم وقرينهُ بإنشاء الصحافة والتأليف. ولد في كفرشيما في ٢٢ آب ١٨٥٢ وتوفي في ١٥ حزيران ١٩٠٢ عُرف منذ حداثته بتوقُّد الذهن ودرس في المدرسة الوطنيَّة ثمَّ في المدرسة البطريركيَّة وعلَّم مدَّة في مدرسة عين طورا. ثمَّ لحق سنة ١٨٧٥ بأخيه الذي كان سبقهُ الى الديار المصريَّة فأنشأا هناك في اوائل آب من السنة ١٨٧٦ جريدة الاهرام ثم صدر الاهرام وكابدا بسبب الجريدتين عدَّة مشقَّات ومضايقات لما نشراهُ من المقالات الحرة وانتقاد اعمال الحكَّام والدفاع عن حقوق المصريين واستعانا بحماية فرنسة لردّ غارات من يتعرَّض لهما. وسافر بشارة غير مرَّة الى اوربَّة وزار عواصمها ثم رحل الى الاستانة ونال من امتيازات سلطانها فضلاً عمَّا نال من انعامات فرنسة كوسام جوقة الشرف ووسامات غيرها من الدول. ثم عاد الى مصر ووسَّع دائرة جريدة الاهرام فوصل بجدهِ ونشاطهِ الى ان اصبحت بفضلهِ في مقدَّمة الجرائد المصريَّة وقد خدم بها صوالح المصريين بازاء الاحتلال البريطاني وانتصر لفرنسة وحقوقها. أُصيب في اواخر عمرهِ بداء القلب فرجع الى سوريَّة انتجاعاً للشفاء فتوفي في وطنهِ

وخدم مصر شابٌّ آخر فات في عزّ شبابهِ نعني بهِ ﴿خليل الجاويش﴾ المولود في بيروت سنة ١٨٧٢ والمتخرّج في مدارسها وخصوصاً في المدرسة البطريركيَّة حيث درس العربية على الشيخ ابراهيم اليازجي ثمَّ انتقل الى مصر وخدم في حكومتها بضع سنوات. ثمَّ تولى في الاسكندريَّة رئاسة تحرير جريدة الاهرام عدَّة سنين الى ان شعر بانتهاك القوى فعاد الى لبنان رجاء ان ينعش بهوائهِ قواهُ فلم يجد ما أمَّلهُ فعاد الى مصر وتوفي في حلوان في ٢١ شباط ١٩٠٢. ألَّف روايات ادبيَّة ومنظومات شعريَّة

نُشر بعضها في مجلّات مصر

وفي مصر كانت وفاة احد مواطنينا السوريين ﴿نقولا بك توما﴾ ولد في مدينة صيداء سنة ١٨٥٣ ودرس في مدرستها للآباء اليسوعيين ثمَّ صار من اساتذتها وعلّم في بعض مدارس لبنان حتى انتقل الى مصر سنة ١٨٧٤ فانتظم مدّة في سلك عمّال دولتها ثمَّ تسنّى لهُ السفر الى باريس فاجتمع فيها باصحاب النهضة كالسيّد الافغاني والشيخ محمّد عبده وكتب عدّة مقالات نشرها في جريدة مرآة الحال ثمَّ عدل الى فنّ المحاماة ولم يزل منكبًّا على درس اصولها ومشكلاتها حتى برع فيها وانشأ مجلّة الاحكام المصريّة فزادت بها سمعتهُ واقبل عليهِ الجمهور فعدل عنها ولزم المحاماة حتى عُدَّ من نوابغها سالكًا فيها بكل جرأة الى ان اضطرّتهُ الامور مع انتهاك الصحّة الى السفر الى اوربّة وفيها كانت وفاتهُ في ٢٥ آب ١٩٠٥ . كان نقولا بك في مرافعاته في القضاء بليغ الكلام يتدفّق في بسط الدعوى وبيان غثّها وسمينها لا يتلجلج لسانهُ في شرحها وتطبيقها على القوانين الشرعيّة وفيهِ قال بعض الشعراء:

أيها الطالبُ البيان وعلم المطقِ الحقِّ نصَّهُ والنُّقولا
لا تجدَّ السُّرى وحسبُكَ مصرٌ لبلوغ المنى وفيها نقولا

وفي السنة التالية في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٠٦ ذهب الموت بحياة سوري آخر أدّى في مصر خدماً مشكورة للآداب العربيّة وهو ﴿الدكتور نقولا نمر﴾ احد مراسلي مجلّة المقتطف . كان مولدهُ في حاصبيّا سنة ١٨٥٨ واتت بهِ أمُّهُ مع اخوتهِ الى صيداء ثمَّ الى بيروت بعد ان قُتل والدهم في حوادث السنة ١٨٦٠ فتربّى نقولا في لمدارس الانكليزيّة ثمَّ في الكليّة الاميركيّة وفي السنة ١٨٧٦ درّس في احدى مدارس دمشق ثمَّ عاد الى الكليّة فدرس فيها الطب ونال شهادتها ولهُ في مجلّة الطبيب فصول طبيّة تشهد لهُ بحسن النظر والذكاء . ثمَّ رحل الى مصر وتعاطى فيها الطبابة منتظماً في سلك الجيش المصري منتقلاً معهُ الى اصوان فوادي حلفا . ثمَّ سافر الى اميركة رواجه رئيس الولايات المتحدة ونشر تفاصيل رحلتهِ اليها في مجلّة المقتطف وكذلك رحل الى ارثريا والحبشة فحرَّر اخبار سفرهِ اليها مع ما وجدهُ فيها ممّا يلذُّ القرّاء من الامور الطبيعيّة واخلاق البشر . وكأن هذه الاسفار أثّرت في صحّتهِ بحيث لم تنجع

في علاج دائهِ حيلة الاطبّاء. وكان اتى بيروت مؤملًا الشفاء فزاد مزاجهُ انحرافاً فرجع الى مصر وتوفي فيها بعد قليل

وفي ٢٤ ك ٢ ١٩٠٧ قبضت المنون روح احد ادباء بيروت المستوطنين للقاهرة وهو «جميل بك نخله المدوّر» من اسرة معروفة في الشام بفضلها وادب اصحابها. وكان المذكور مولعاً بالتنقيب عن آداب العرب وتاريخ الامم الشرقيّة القديمة. فصنّف في حداثتهِ تاريخ بابل واشور وسبكهُ سبكاً حسناً واخرجهُ بعبارة بليغة وعرّب كتاب التاريخ القديم ورواية «أتالا» لشاتوبريان. وانّما افضل تآليفهِ كتابهُ حضارة الاسلام في دار السلام روى فيهِ على صورة رحلة خياليّة لبعض اهل الشيعة ما ورد في تآليف المؤرخين والادباء عن احوال المملكة في ايّام هارون الرشيد وهو فكر حسن اقتبسهُ الكاتب من احد ادباء الفرنسويين المدعو برتلمي الذي روى على هذه الصورة سفر احد الاجانب المدعو اناكرسيس (Anacharsis) الى جهات اليونان قبل وفاة الاسكندر واسمّاهُ ما يستحسنهُ من عادات اليونان واخلاقهم وعلومهم. ومثلهُ سفر تلميك [illegible] وهذه نبذة من تلك الحضارة تطلعك على أسلوب كتبها البارع ضمّنها وصف زبيدة ام جعفر زوجة هارون الرشيد بنت جعفر بن المنصور وام الخليفة الامين (ص ٢ - ١ — ١٥٣) :

«واني كنتُ رأيتُ لهُ (اي للرشيد) في تدبير المملكة ذلك التصرّف الجميل فاني ما وجدتهُ لهُ في تدبير اهل بيتهِ وسواليهِ وانّما يرجع الرأي في ذلك الى زوجة امّ جعفر وهي انفذ نساء العبّاسيين كلمةً في الدولة. وقد ريّضت في مهاد الدّعة والدلال كما يشير اليها اسمها. فانّما سمّاها ابو جعفر جدّها بزُبيدة لنضاضة بدنها وقد كان يُرقصها تمثّلًا بها وينظر الى غضاضتها وملاحتها فسمّاها زبيدة لذلك (١. فلمّا بنى بها الرشيد وجدها طرقة حديث ومصدرَ رأي جميل لم يرَ بُدًّا من الانقياد اليها في قضاء جميع ما ترومهُ من الحوائج. ومن ذلك انّهُ مكّنها من بيوت المال فأنفقت من سعة ما ينيف عن ثلاثين الف الف دينار (٢. فبنت مسجداً مباركاً على ضفّة دجلة بقرية من دور الخلافة يسمّى بمسجد زبيدة. ومسجداً سامي الحُسن في قطيعتها المعروفة بقطيعة امّ جعفر (٣ بين باب خراسان وشارع دار الرقيق (٤ وحفرت بالحجاز

---

١) الاغاني (٩: ١٠٢) والشريشي (٢: ٢٤٥) والحصري (٢: ٢٣٦)

٢) في المسعودي (٢: ٢٢٧) انما كانت من الرشيد بالمنزلة التي لا يتقدّمها احد من نظرائها

٣) ياقوت (٤: ١٤١)

٤) ابن خلكان (١: ١٨٢) والمستطرف (١: ٢٨٩)

العين المعروفة بين المشاش (١) وعبّدت الطريق لمائها في كل خفض ورفع وسهل ووعر حتى اخرجتها من مسافة اثني عشر ميلاً الى مكة فبلغ ما انفقته عليها الف الف دينار. وهذا من الاعمال التي لم تباشرها امرأة في الاسلام إلّا الخيزران امّ الرشيد. . . فان لم يكن عند زبيدة من الدل ما بلغ هذا القدر الجسيم فانّ لها في السياسة رأياً تسمو به الى التداخل في امور الدولة كأفطن ما يكون من الرجال »

وقد امتاز بين السوريين المهاجرين الى مصر ﴿ الشيخ ابراهيم اليازجي ﴾ فانّهُ بشهرة اسم والدهِ الشيخ ناصيف وشهرتهِ الشخصيَّة وتآليفهِ كان من اعظم المساعدين على نهضة الآداب العربيَّة في القطر المصري وفيهِ كانت وفاتهُ في ٢٨ كانون الاوَّل سنة ١٩٠٦ . ولا نعود هنا الى ذكرهِ بعد ما وفَّيناهُ حقَّهُ في كتابنا الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر (٢ : ٣٩ - ٤٠) مع سائر الاسرة اليازجيَّة . وقد ذكرنا في المشرق (٢٢ [١٩٢٤] : ٦٣٧ - ٦٣٨) حفلة نَصب تمثالهِ (لهُ صلة)

## مطبوعات شرقية جديدة

Fr. Porché: La Vierge au grand cœur. *Paris, Grasset*, 1925, *in*-12, *Prix* 7 *f*,50

العذراء السامية القلب

هذه رواية تمثيليَّة شعريَّة وضعها المسيو پورشه موضوعها جان درك تحت عنوان « العذراء السامية القلب » فبسط مآثرها منذ دعوتها الى انتصارها وموتها . ولا ننكر انّ المؤلف تعمَّق في درس جان درك وعواطفها وفضائلها الّا انّنا وجدناهُ مخلًّا في امرين : الاوَّل بكونهِ افرط في الرؤى السماويَّة التي يشخصها امام الحضور والثاني انهُ لم يختم الرواية بما ينتظر من تمجيد القديسة جان درك في استشهادها ج . ل

Georges Goyau: FRÉDÉRIC OZANAM. Paris, Payot. I vol. in-16, 1924, Prix 5 f[s]

ترجمة فردريك اوزنام

مرَّ لنا في المشرق غير مرَّة ذكر فردريك اوزنام فخر الكثلكة بل مجد الانسانيَّة

(١) المسعودي (٣ : ٤٠٢) وابن جبير (١٧٢) والشريشي (٢ : ٢٤٥)